Available at:
https://ejournal.unida.gontor.ac.id/index.php/tasfiyah
http://dx.doi.org/10.21111/tasfiyah.v3i2.3499

ISSN 2549-6905
TASFIYAH
Jurnal Pemikiran Islam

# بديع الزمان سعيد النورسي ومنهجه في تحقيق الكمال الإنساني

**Muhammad Hadi Wannes***
Universitas al-Zaitunah-Tunis, Tunisia.
wannes.mohamed.hedi@gmail.com

## Abstract

*This paper will analyze the methods and basics of Badi'uzzaman Sa'id Nursi to form human perfection. Human perfection has been discussed in various scientific disciplines in Islam; kalam, philosophy, tasawwuf or shari`at fields. This is because human perfection is closely related to happiness in both the 'shahahadah' or 'unseen' realms. Sa'id Nursi's strengths were the object of this study because of his expertise in expressing human meaning based on the the Qur`an. The results of this discussion contain several points. First, there are aspects of the method, Bediuzzaman combines aspects of shari'ah and haqiqat, faith, Islam and Ihsan. Second, to achieve perfection, humans must carry out the four maqamat processes; that is, feeling himself weak ('ajz), infidelity (faqr), affection (as-syafaqah), and always reflecting (tafakkur) on al-Qu`ran and the book of creation. All of these things are in the frame of cleansing the soul from egoism (ananiyyah) and 'nafs ammarah'. Third, besides that, humans must also function all the inner senses (lathaif) in accordance with the worship that is ordered. An ideal example is the Prophet Muhammad and his companions. Fourth, humans are creatures that emit asmaul Husna the most in their potential. hence, a perfect human is who can live and feel this potential.*

**Keywords:** *Said Nursi, Perfect Man, Mujadadah.*

## Abstrak

*Makalah ini akan menganalisa metode dan dasar-dasar Badi'uzzaman Sa'id Nursi dalam membentuk kesempurnaan manusia. Kesempurnaan manusia telah menjadi pembahasan dalam berbagai disiplin keilmuan dalam Islam; baik kalam, filsafat, tasawwuf atau bidang syari`at. Hal ini karena kesempurnaan manusia terkait erat kebahagian baik di*

* Universitas Darussalam Gontor, Kampus Pusat UNIDA Gontor, Jl. Raya Siman KM. 06, Demangan, Siman, Ponorogo, 63471 Jawa Timur. Telp. (+62352) 483762, Fax. (+62352) 488182.

*alam 'syahahadah' atau alam 'ghaib'. Kelebihan Sa'id Nursi yang menjadi objek penelitian ini karena kepiawainya dalam mengungkap makna manusia berdasarkan pandangan Qur`ani. Hasil Pembahasan ini dapat disimpulkan ke dalam beberapa poin. Pertama, ada aspek metode, Nursi menggabungkan aspek syari`at dan haqiqat, iman, Islam dan Ihsan. Kedua, untuk mencapai kesempurnaan, manusia harus melakukan empat proses maqamat; yakni merasakah dirinya lemah (`ajz), kefakiran (faqr), kasih sayang (as-syafaqah), dan selalu melakukan refleksi (tafakkur) terhadap al-Qu`ran dan kitab ciptaan. Semua hal ini dalam bingkai pembersihan jiwa dari egoisme (ananiyyah) dan 'nafs ammarah'. Ketiga, selain itu, manusia juga harus memfungsikan semua indera batin(lathaif) sesuai dengan ibadah yang diperintahkan. Contoh idealnya adalah Nabi Muhammad SAW dan para sahabatnya. Keempat, manusia merupakan mahkluk yang paling banyak memancarkan asmaul Husna dalam potensinya. maka, manusia sempurna adalah manusia yang bisa menghidupkan dan merasakan potensi tersebut.*

**Kata Kunci:** *Said Nursi, Manusia Sempurna, Mujadadah.*

**مقدمة**

تعتبر مسألة الكمال الإنساني من أكثر المسائل أهمّية والتصاقا بالذات الإنسانية تلك الذات التي تعي ذاتها وتسعى لتحقيق كمالها المنشود فتحقيق الكمال الإنساني يعد مطمحا لجميع البشر نظرا لارتباطه الوثيق بمسألة تحقيق السعادة، وكلّ متطلع لبلوغ درجات الكمال الإنساني إنّما هو في حقيقة الأمر يهدف إلى أن يكون سعيدا في هذا الكون، ممّا جعل هذه المسألة الإنسانية محط أنظار الفلاسفة والمفكرين الذين لم يتأخروا عن الاهتمام بها ضمن مؤلفاتهم.

ولم يقتصر البحث عن هذه المسالة على حضارة بعينها وإنما كانت لكلّ الحضارات طرحها ومعالجتها الخاصة، التي تنبثق عن أصول أفكارها ومعتقداتها، ومن بينها نجد الحضارة الإسلامية التي لم تهمل هذه القضية وإنما توسعت فيها بالبحث والدرس، ويظهر ذلك جليا من خلال المساهمات القيمة، للكثير من العلماء اللذين ينضوون تحت لوائها، ومن أبرز هؤلاء الأفذاذ واللذين ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم حيث ترجمت أعمالهم إلى الكثير من اللغات، العالم التركي والملقب ببديع الزمان الأستاذ سعيد النورسي.

وقد عُرف الشيخ سعيد النورسي بمدى إخلاصه وشهامته في طلب العلم وتبليغه وتشهد له بذلك مؤلفاته المسماة برسائل النور والتي سعى من خلالها إلى إنقاذ إيمان شعبه الذي يرزح تحت وطئة التيارات التغريبية الإلحادية خاصة بعد إعلان مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٦٣م انتهاء نظام الخلافة وقيام نظام جديد يقطع مع الماضي ويسعى إلى تجذير العلمانية في مؤسسات الدولة والمجتمع مما أدى إلى إهمال دور الدين وفتح الباب على مصراعيه للفلسفات المادية والتي أثرت سلبا على الإنسان وسلبته أبعاده الإنسانية والأخلاقية والروحانية.

فكيف تعامل الإمام النورسي مع هذا الوضع؟ وكيف كانت مسيرته النضالية والإصلاحية؟ وما منهجه الذي دعا إليه من خلال رسائل النور لإنقاذ الإيمان والترقي بالإنسان في سلم الكمال الإنساني؟

## التعريف ببديع الزمان النورسي

هو سعيد بن ميرزا النورسي المعروف ببديع الزمان النورسي ولد سنة ١٦٩٤ه الموافق لسنة ١٨٧٧م في قرية «نُورس» التابعة لناحية إسباريت بقضاء خيزان من أعمال ولاية بتليس في شرقي الأناضول من أبوين كردين[١] ويقوم النورسي بالتعريف بنفسه فيقول «اسمي سعيد لقبي بديع الزمان اسم والدي ميرزا لا أنتسب إلى سلالة معروفة شافعي المذهب أحد مواطني الدولة العلية العثمانية».[٢]

نشأ النورسي في بيت صالح تحت رعاية أبوين صالحين ينتهي نسبهما إلى سبطي النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين[٣] وقد كانا مضرب المثل في

[١] بديع الزمان سعيد النورسي ، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠١٣)، ٣٩.

[٢] المرجع السابق.

[٣] شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة، ترجمة محمد فاضل، (د.م: د.ت، د.س)، ١٦.

الصلاح والورع والتقوى. فوالده الصوفي «ميرزا» كان ورعا مجتهدا في تحري لقمة الحلال فكان إذا ما عاد بمواشيه من المرعى كمم أفواهها كي لا تمس مزارع الناس بسوء[٤]. وأما والدته «نورية» فكانت مثلا للمرأة التقية والنقية القائمة بشرع ربها فحين سئلت عن سر تربية أولادها أجابت «لم أفارق صلاة التهجد طول حياتي إلا الأيام المعذورة شرعا ولم أرضع أولادي إلا على طهر ووضوء»[٥].

وقد نهل النورسي من نبع هذه الأم الصالحة دروسا إيمانية رافقته مدى حياته فيقول معترفا بفضلها «أقسم بالله أن أرسخ درس أخذته وكأنه يتجدد علي إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي»[٦].

ولكن سرعان ما حرم النورسي دفئ هذه العائلة الكريمة إذ توفيت أمه وبعد بضع سنوات لحق بها أخواته الثلاث ويقول النورسي عن نفسه «إنني لم أشاهد والدتي الرؤوفة منذ التاسعة من عمري فلم أحظى بتبادل الحوار اللطيف معها في جلساتها فبت محروما من تلك المحبة الرفيعة ولم أتمكن من مشاهدة أخواتي الثلاث منذ الخامسة عشر من عمري حيث ذهبن مع والدتي إلى عالم البرزخ فبت محروما من كثير من ألطاف الرحمة والاحترام»[٧].

ورغم هذا الفراق المبكر الذي واجهه النورسي لمعلمته الأولى لم يتوانى عن التعلم والاجتهاد في تحصيله وقد ساعده على ذلك قوة ذكائه ودقة ملاحظته حيث كان دائم الاستفسار وكثير السؤال ولم يكن شيء أحب إليه من حضور مجالس الكبار والاستماع إلى حديثهم خاصة مجالس علماء قريته في ليالي الشتاء الطويلة[٨].

---

[٤] بديع الزمان سعيد النورسي ، **سيرة ذاتية...** ٤٠.
[٥] **المرجع السابق.**
[٦] **المرجع السابق.**
[٧] **المرجع السابق..**، ٤١.
[٨] **المرجع السابق.**

وهكذا بدأ سعيد الصغير في طلب العلم وقد حفزه على الطلب أكثر الرؤيا التي رآها حيث «رأى كأن القيامة قد قامت ورأى الأنبياء وقبل أيديهم واحدا واحدا حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقبل يديه الشريفتين وطلب منه العلم فبشره الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: سيوهب لك علم القرآن ما لم تسأل أحدا».[٩]

فانتقل هذا الشاب اليافع إلى المناطق المجاورة لولاية «بتليس» على غرار مدينة «بايزيد» و«شيروان» و«سعرد» وجالس الكثير من الأشياخ والعلماء مثل الشيخ محمد أمين أفندي والشيخ نور محمد والأستاذ محمد الجلالي، وقد نال هذا الطالب المجتهد إعجاب جميع أساتذته ولعل أستاذه الملا فتح الله أفندي أكثر من عبر عن ذلك حيث كتب على غلاف كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي (ت ٧٥٦ه) بعد أن درسه لتلميذه سعيد «لقد حفظ جمع الجوامع جميعه في جمعة»[١٠]، بل إن شيخه محمد أمين كلفه بنبذ زي الدراويش والتزي بزي العلماء لما رأى فيه من أهلية علمية فرد عليه النورسي الصغير الجريء «إنني لم ابلغ بعد الحلم فلا أجدني لائقا بلبس ملابس العلماء وكيف أكون عالما وأنا مازلت صبيا؟».[١١]

لقد حظي الشيخ سعيد بذكاء خارق وبقابلية فريدة للحفظ مكناه من الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية ومن ثم تبليغهما ولكن البيئة التي كان يعايشها رحمه الله كانت نابذة للإسلام محاربة لشريعته بدعوى التحرر والتحضر فما لبث أن جلس الأستاذ للتدريس وتعليم الناس أمور دينهم حتى هاجمته الأيدي من هنا وهناك واصفة له بالتخلف والرجعية.

---

[٩] **المرجع السابق...**، ٤٣.

[١٠] بديع الزمان سعيد النورسي، **الإنسان والإيمان**، مراجعة وتقديم بنبذة عن حياة بديع الزمان وجهاده ورسائله علي محي الدين علي القره داغي، دار الاعتصام، د.ت، ٢٨.

[١١] بديع الزمان سعيد النورسي ، **سيرة ذاتية...** ٥٢.

ولعل أهم خبر هز كيان الأستاذ النورسي تصريح غلادستون[١٢] و«هو يخاطب النواب في حدة وعجرفة وبيده نسخة من القرآن العظيم «ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلا نستطيع أن نحكمهم لذلك فلا مناص لنا من إزالته من الوجود وقطع صلة المسلمين به»[١٣] مما جعل الرجل ينذر حياته في سبيل خدمة الإنسان وإنقاذ الإيمان استمدادا من حقائق القرآن فقال «لأبرهنن للعالم بان القرآن شمس معنوية لا تنطفئ ولا يمكن إطفاء نورها»١٤. ولكن كيف كانت مسيرة الأستاذ النورسي النضالية؟

## مسيرة سعيد النورسي النضالية

إنّ المتأمل في مسيرة الأستاذ سعيد النورسي بشقيها يلاحظ أن ما يجمع سعيد القديم وسعيد الجديد١٥ هو منافحته عن الإسلام والتضحية في سبيل إنقاذ الإيمان والاهتمام بالإنسان متأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومتمثلا أخلاقه وخصاله الكريمة في كل ما يعترضه من مواقف وأحداث.

ولعل أوّل هذه المواقف التي خاضها النورسي في سبيل تخليص الأتراك من الجهل الذي كان سائدا حينها هو سفره إلى استنبول سنة ١٩٠٧م للمطالبة بإنشاء جامعة الزهراء لتدريس العلوم الدينية والعلوم الطبيعية غير انه أثار حاشية السلطان بانتقاده للواقع السياسي فأحالوه على المحكمة العسكرية أين وصف بالجنون لجرأته وشجاعته في الإفصاح عن مراده وأقيمت له لجنة من الأطباء

---

[١٢] ويليام ايوارت غلادستون سياسي بريطاني (ت ١٨٩٨م) تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا أربع مرات. راجع النورسي بديع الزمان سعيد، من رسائل النور الإنسان والإيمان، مراجعة وتقديم بنبذة عن حياة بديع الزمان وجهاده ورسائله علي محي الدين علي القره داغي، دار الاعتصام، ٢٢.

[١٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **الإنسان والإيمان...**، ٣١.

[١٤] بديع الزمان سعيد النورسي ، **سيرة ذاتية...**٥٣.

[١٥] تمتد مرحلة سعيد القديم من سنتوات شبابه المبكرة وتستمر الى سنة ١٩٢٦واما سعيد الجديد فتبدأ من سنة نفيه الى بارلا عام ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٤٩. راجع بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير لد.جمال الدين الكيلاني ود.زياد الصميدعي، دار الزنبقة، القاهرة، ط١/٢٠١٤.

النفسيين لفحص مداركه العقلية.[١٦]

فبادر النورسي الطبيب بكلام رائع وضح فيه الغاية من مطلبه ومبررات ذلك بأسلوب عميق وجميل ومما جاء فيه «فيا طلاب العلوم الدينية الذين يسمعون صوتي لنكن خير خلف لسلفنا الذين بلغوا أوج الكمال ولنسع في سبيل ذلك كطلاب المدارس الحديثة الذين أصبحوا خير خلف لسلفهم الناقصين»[١٧] وهو ما أثار دهشة الطبيب ليكتب في تقريره حول النورسي «لا يوجد بين القادمين إلى استنبول من يملك ذكاء وفطنة مثله إنه نادرة العالم».[١٨]

ثم يحال الأستاذ النورسي إلى وزارة الداخلية ليقف موقفا أخرا يدل على مدى حرصه في خدمة أمته وإيثاره لنشر الخير ونبذ الأنانية ويظهر ذلك جليا في محاورته لوزير الدّاخلية يومئذ شفيق باشا الذي أغراه بمرتب كبير فرفض النورسي هذا المال قائلا «أنا لست متسول مرتب وان بلغ ألف ليرة فانا لم آت إلى هنا إلا من أجل أمتي وليس من أجل نفسي»[١٩]، وقد كان لصدق النورسي وأمانته كلمات سديدة وعبارات شديدة يفحم بها من يروم مجادلته حتى إن قره صو اليهودي فر هاربا من مقابلة الشيخ وهو يقول كاد هذا الرجل العجيب يدخلني في الإسلام بحديثه».[٢٠]

ومع حادثة الثالث عشر من شهر نيسان سنة ١٩٠٩[٢١] نقف مع الإمام النورسي المتهم يومئذ بالتمرد على الحكومة على معنى الوفاء والإخلاص والفداء

---

[١٦] بديع الزمان سعيد النورسي ، **سيرة ذاتية...**، ٧٢.

[١٧] **المرجع السابق**.

[١٨] **المرجع السابق...**، ٧٣.

[١٩] **المرجع السابق...**، ٩٨.

[٢٠] **المرجع السابق...**، ١٠١.

[٢١] هي حادثة تمرد وعصيان عسكري بدأ في معسكر «طاش قشلة» في استنبول ثم انتشر التمرد إلى المعسكرات الأخرى في المدينة ثم نزل الجنود المتمردين إلى الشوارع وقتلوا بعض الوزراء والنواب والضباط واتهم فيها النورسي بالتحريض على التمرد والمطالبة بتطبيق الشريعة. **المرجع السابق...**، ٤٨٣.

للحقائق الإيمانية حيث قام الحاكم العسكري خورشيد باشا بترهيب الأستاذ وتهديده بالشنق فما كان من هذا الإمام إلا أنه رد بكلام رائع يعبر عن شموخ الإيمان جاء فيه «لو أن لي ألف روح لما ترددت أن اجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام فقد قلت إني طالب علم لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة إنني لا أعترف إلّا بملة الإسلام أنني أقول لكم وأنا أقف أمام البرزخ الذي تسمونه السجن في انتظار القطار الذي يمضي بي للآخرة..».[٢٢]

لقد واجه الأستاذ النورسي في ظل الحكومة المعادية للإسلام الكثير من المضايقات والإهانات ورميه بالجنون ورغم ذلك كله تراه يواجهها مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير من الصبر والتجلد مثابرا في نشر العلم والمعارف بين القبائل والعشائر[٢٣] التي تشهد له بقيمة علمه وعمله.

ومما يصدق هذه الشهادة وقوع الإمام النورسي في الأسر الروسي سنة ١٩١٦م وإظهاره لعزة المؤمن وصفاء عقيدته ويتلخص ذلك في رفض الإمام الوقوف للقيصر الروسي نيكولا نيكولافيج من بين كل الأسرى معللا موقفه بقوله «إني عالم مسلم احمل في قلبي إيمانا والذي يحمل في قلبه إيمانا هو أفضل من الذي لا إيمان له ولو أني قمت لك لكنت إذن قليل الاحترام لعقيدتي ومقدساتي لذلك فاني لم أقم لك»،[٢٤] وعبثا حاول بقية الأسرى إقناعه بالاعتذار من القيصر حيث رد بيقين المؤمن الصادق «إني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فإنني بحاجة فقط إلى جواز سفر للآخرة وأنا لا أستطيع أن أعمل بما يخالف إيماني».[٢٥]

---

[٢٢] المرجع السابق...، ١٠٣.
[٢٣] المرجع السابق...، ١٠٨.
[٢٤] المرجع السابق...، ١٣٠.
[٢٥] المرجع السابق.

وقد أخذ الأستاذ النورسي من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان لا يغضب لشيء كما كان يغضب لانتهاك حرمة الدين ومثال ذلك نجده مع سفر الأستاذ إلى أنقرة سنة ١٩٢٢م أين وقف على حقيقة معاداة أتاتورك للإسلام وترك أكثر النواب للصلاة. فغضب لذلك وخطب فيهم بيانا بدأه بقوله «يا أيها المبعوثون (...) إنكم لمبعوثون ليوم عظيم» ولما راجعه أتاتورك في كلامه أجابه الأستاذ مشيرا إليه بإصبعه في حده «باشا ... باشا إن أعظم حقيقة تتجلى بعد الإيمان هي الصلاة وإن الذي لا يصلي خائن وحكم الخائن مردود».[٢٦]

كان وقع كلام الأستاذ شديدا على النواب حيث بادر أغلبهم للالتزام بالصلاة ولكنه لم يعجب أتاتورك الذي قرر نفيه وإبعاده لتبدأ مرحلة جديدة من حياة النورسي أطلق عليها في سيرته الذاتية اسم سعيد الجديد. تلك المرحلة التي واجه فيها الشيخ قسوة الاعتقالات وجفاء النفي إلا أنه بقي صامدا مستعصما بحبل ربه متذللا ومنيبا إليه حيث يقول «إن عناية الله أدركتني فاستأنست بقرآنه أقرؤه واستشف معانيه».[٢٧]

لم يستسلم الشيخ أمام الظلم والقهر المسلط عليه وإنما اتخذ من منفاه فرصة لنشر العلم فانبرى يألف ويكتب الرسائل يرد فيها شبهات الحاقدين فاضحا مخططاتهم ضد الإسلام وقد أطلق عليها اسم رسائل النور. ويعرف الأستاذ هذه الرسائل فيقول «إن رسائل النور شرح لآيات القرآن الكريم وحقائقه وتوضيح للآيات المتعلقة باركان الإيمان بشكل يدحض أكاذيب الفلاسفة الأوروبيين وشبهاتهم حول القرآن من أساسها».[٢٨]

---

[٢٦] **المرجع السابق...**، ١٨١.

[٢٧] بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠١٣)، ٣٩.

[٢٨] **المرجع السابق**.

ويبلغ عدد هذه الرسائل المائة والثلاثون رسالة ألف بديع الزمان اغلبها في منفاه ببارلا وقد جمعت في عدة مجلدات أولها يحمل اسم «الكلمات» تحدث فيها النورسي عن الإيمان والعبادة والصلاة والعلاقة مع الله...[٢٩] والمجلد الثاني هو «المكتوبات» ويتطرق فيه الأستاذ الى مواضيع شتى حول الخضر وجهنم والأولياء ومعجزات النبي...[٣٠] وتحدث في المجلد الثالث الذي سماه «اللمعات» حول الأنبياء ودروس من سيرهم مع الحديث حول السنت النبوية وسمات النبي عليه الصلاة والسلام[٣١].

ثم يأتي المجلد الرابع باسم «الشعاعات» يهتم بالتوحيد ودلائل وجود الله ومناجاته والوحي والإلهام...[٣٢] وحمل المجلد الخامس اسم «إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز» خصصه الأستاذ لتفسير بعض الآيات القرآنية[٣٣] أما المجلد السادس فهو بعنوان «المثنوي العربي النوري» تحدث فيه النورسي صفات الله والإيمان والنبي والآخرة والتوكل والذكر والقرآن[٣٤]. وقد جمع المجلد السابع «الملاحق» ملحق بارلا وقسطموني وأمير داغ وهي رسائل كتبها الأستاذ إلى طلبته وهو في السجن ينشر فيهم فقه دعوة النور[٣٥] وألف الأستاذ المجلد الثامن وسماه «صيقل الإسلام» ضمنه أثار سعيد القديم[٣٦] ليكون المجلد التاسع والأخير بعنوان «سيرة ذاتية» يتناول فيه الأستاذ نشأته وجميع مراحل حياته مرتبة حسب التسلسل التاريخي.٣٧

---

[٢٩] إحسان قاسم الصالحي، **العالم يتصفح كليات رسائل النور**، (دار سوزلر للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت)، ٢٦.

[٣٠] بديع الزمان سعيد النورسي ، **سيرة ذاتية...**، ٧٢.

[٣١] **المرجع السابق...**، ٢٩.

[٣٢] **المرجع السابق...**، ٣٠.

[٣٣] **المرجع السابق...**، ٣١.

[٣٤] **المرجع السابق...**، ٣٢.

[٣٥] **المرجع السابق...**، ٣٤.

[٣٦] **المرجع السابق...**، ٢٥.

[٣٧] إحسان قاسم الصالحي، **العالم يتصفح كليات...**، ٣٧.

توفي الأستاذ النورسي فجر يوم الأربعاء في ٢٤ رمضان ١٣٧٩ه الموافق لـ ٢٣ مارس ١٩٦٠م في مدينة «أورفة» بأنقرة[٣٨] بعد مسيرة ومعاناة طويلة بدأت بسعيد القديم لتنتهي بسعيد الجديد الذي لم يتوانى فيها عن العطاء والتضحية في سبيل الإيمان والارتقاء بالإنسان تلك المرحلة التي «تجنب فيها النورسي كل أنواع المواجهات وابتعد تماما عن الحياة السياسية وأصبح كل ما يهتم به هو الإنسان بصفته كائن أخلاقي»[٣٩] على حد تعبير شكران واحدة. ولكن ماهو منهج النورسي في الرقي بالإنسان وتحقيق الكمال الإنساني؟

## منهج النورسي في تحقيق الكمال الإنساني

يعتبر الإنسان من أكثر المخلوقات رفعة وتميزا في الكون لما خصه الله تعالى به من مؤهلات واستعدادات وإدراكات أهلته للمضي قدما في السير إلى الله والتطلع إلى معرفته بل إنّه ليس ثمة أحد «يعرفه تعالى أكثر من الإنسان الذي يعتبر المستفيد الأكبر من أنوار الأسماء الحسنى من حيث سعة حاجاته التي لا تجتمع في مخلوق آخر كما اجتمعت فيه».[٤٠]

فالأستاذ النورسي يرى أنّ الوظيفة الفطرية للإنسان إنّما «هي التكمّل بالتعلّم أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة، ولقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء لأنّ كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد وأساس كل العلوم الحقيقية ومعدنها ونورها وروحها هو معرفة الله تعالى كما أن أس هذا الأساس هو الإيمان بالله جل وعلا»[٤١].

---

[٣٨] **المرجع السابق...**، ٤٨٥.

[٣٩] شكران واحدة، **الإسلام في...**، ٥١٢.

[٤٠] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور**، (إستانبول-تركيا: معهد الدراسات المصطلحية والبحوث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، د.س)، ١٣٨.

[٤١] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار

ومن هنا يمكن لهذا الإنسان «المستصحب لنور الإيمان» أن يترقى في المدارج الإيمانيّة التي تمنحه المعرفة القدسية بل إنّه من الممكن أن يبلغ في رقيه وعروجه أعلى المراتب واسماها تلك المرتبة التي يسميه النورسي بمرتبة الإنسان الكامل حيث يقول أنّه «للوصول لمرتبة الإنسان الكامل وذلك بالتوجه القلبي إلى الله طوال سيره وسلوكه وأثناء معاناته الروحية التي تسمو بحياته المعنوية أي الوصول إلى مرتبة المؤمن الحق والمسلم الصادق أي نيل حقيقة الإيمان والإسلام لاصورتيهما».[٤٢]

فالإنسان الكامل عند الأستاذ النورسي هو ذلك الإنسان الذي يوجه كلّ لطائفه وملكاته ومواهبه إلى الغاية الأسمى وهي معرفة الله تعالى وهو بفعله هذا يشبه الصحابة الكرام حيث «يسوق جميع تلك اللطائف إلى مقصوده الأساس وهو عبادة الله فيسوق القلب كالقائد كل لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنودا في ركب عظيم وفي ميدان واسع فسيح كما هو لدى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم».[٤٣]

وبهذا كان الصحابة الكرام نماذج حية للإنسان الكامل فهم الذين اقتبسوا من نور النبي والإنسان الأكمل صلى الله عليه وسلم الذي مدحه الله في القرآن الكريم فقال تعالى « إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»[٤٤] وذلك لما كان عليه من مكارم الأخلاق عليه الصلاة والسلام ولما «اجتمع في ذاته المباركة من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة» كما قال النورسي فصار بذلك النبي وشخصيته المعنوية أحسن قدوة وخير مثال يقتدى به ويقتفى مسلكه سيرا إلى الله تعالى

---

سوزلر، ٢٠١٣)، طبعة ٧، ٣٥٥.

[٤٢] النورسي بديع الزمان سعيد، **المكتوبات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١٣)، طبعة ٧، ٥٩٦

[٤٣] النورسي بديع الزمان سعيد، **الكلمات**،...، ٥٨٢.

[٤٤] سورة القلم الآية ٤.

وطلبا للكمال المنشود.

وللوقوف أكثر على منهج الأستاذ النورسي يقسم الباحث العمل إلى ثلاث مباحث يهتمّ في الأول بالطريق التربوي الذي وضعه النورسي باسم طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر ثم يعالج مصطلح الإيمان التحقيقي بوصفه مقوما أساسيا في طلب الكمال الإنساني في المبحث الثاني ليكون المبحث الأخير حول أهمية التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام الإنسان الكامل والمكمل.

## أسس منهج النورسي في تحقيق الكمال الإنساني

تكتسب الطرق التربوية السلوكية أهميتها المقاصدية من خلال ما تبثه في نفس السالك من السعي الدائم والمثابرة على تحصيل نعيم الآخرة ومرضاة الله تعالى والسعي لبلوغ هذه الغاية السامية يترتب عليه حصول مقاصد أخرى عن طريق التبعية واللزوم ذلك أن بلوغ مرضاة الله تعالى يحصل منها محبة الله تعالى وهي قمة اللذات ورأسها ومحبة الله تعالى يحصل منها الرقي المعنوي والسمو في درجات الإيمان والعلو في مراتب اليقين.[٤٥]

وقد سعت كلّ الطرق الصّوفية إلى تحقيق هذه المقاصد التّبيلة في نفوس مريديها رغم اختلاف الظروف الزمانية والمكانية التي كانت تعايشها إلا أنّ الباحث في رسائل النور يعثر على طريق تربوي خاص يختلف ويتمايز عن سائر الطرق السلوكية الأخرى حيث يعترف الأستاذ النورسي بأنّه للوصول إلى الله طرائق كثيرة وعديدة ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم،[٤٦] ولكن تراه يضيف معلنا عن طريق تربوي جديد ومستمد من أنوار

[٤٥] عكيوي عبد الكريم، **المقاصد العملية للتربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي**، مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، (إستنبول-تركيا: مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم، ٢٠١١)، عدد ٤، ٩٧.

[٤٦] بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**،...، ٥٩٤.

القرآن فيقول: «وقد استفدت من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر».[٤٧]

ولكن ما وجه الاختلاف والتمايز بين الطريق النورسي وطرق أهل السلوك؟ وأين تبرز أهمية طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر في الارتقاء بالذات الإنسانية وبلوغ الكمال المنشود؟

استمد الأستاذ النورسي بمحض تدبره في آيات القرآن الكريم طريقًا ومنهجا تربويا يهدف إلى تزكية النفوس وتحريرها من قيود الغفلة والأوهام ويقوم على أربع خطوات ثم بيّن أن كل خطوة من هذه الخطوات الأربع في طريق الوصول إلى مرضاة الحق سبحانه ترتكز على آية كريمة بل آيات، فالعجز منبعه قوله تعالى: **فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُم**[٤٨] والفقر منبعه قوله تعالى: **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُم أَنفُسَهُم**[٤٩] والشفقة منبعها قوله تعالى: **وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفسِكَ**[٥٠] والّتفكر منبعه قوله تعالى: **كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ.**[٥١]

ولا يذهبنّ بك سوء الفهم إلى الخطأ فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنّما هو إظهار ذلك أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام النّاس وأمّا أوراد هذا الطريق القصير وأذكاره فتنحصر في اتباع السنة النبوية، والعمل بالفرائض ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر.[٥٢] ولذلك كان هذا الطريق يختلف عما سلكه أهل السلوك في طرق الخفاء وهو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية[٥٣] على حد تعبير النورسي.

---

[٤٧] **المرجع السابق**،...، ٥٩٤.
[٤٨] سورة النجم، الآية ٣٢.
[٤٩] سورة الحشر، الآية ١٩.
[٥٠] سورة النساء، الآية ٧٩.
[٥١] سورة القصص، الآية ٨٨.
[٥٢] انظر في حمادة فاروق، **الإنسان في رسائل النور وجودا ومهمة وغاية**، ٨٩.
[٥٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**،...، ٥٩٤.

ويرى فريد الأنصاري أنّ هذا الطريق التربوي الذي أسسه النورسي على أربعة قواعد هي العجز والفقر والشفقة والتفكر. إنّما يقوم على مبدأ أساسي ترجع إليه جميع الخطوات هو مبدأ التفكر وذلك لأنّ التفكر عنده وسيلة تربوية وغاية تعبدية قائمة على الذوق والتذوق أكثر ما هي قائمة على عمليات العقل المجردة من العواطف والأحاسيس الوجدانية بل هو فكر الروح وعقل القلب[٥٤] وذلك أخذا من قوله تعالى: **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَٰذَا بَٰطِلا سُبحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ،**[٥٥] أمّا الخطوات الثلاث الأخرى العجز والفقر والشفقة فالحقيقة أنّها نتائج للتفكر وثمار له لأنّ ثلاثتها لا تتصور في الوجود بدونه بينما هو يكون بدونها فغير المتفكر لا يمكن أن يستشعر عجزا ولا فقرا ولا شفقة بالمعنى التعبدي لتلك الكلمات فإذا فعل فمعناه أنّه مر عبر مسلك التفكر ولو بصورة لا شعورية فهي ليست في نهاية المطاف سوى تجليات للتفكر وآثار وجدانية له.[٥٦]

وانطلاقا من مبدأ «التفكر» المستمد من كلام الله تعالى والذي قدمه الأستاذ النورسي بديلا قرآنيا عن الأوراد الصوفية يمكننا أن نميز بين الطريق النوري والمعرفة الضرورية المباشرة والمضمونة التي يحققها والطريق الصوفي ومعرفته الغير ضرورية والبرزخية والمغامرتية كما يصفها الأنصاري[٥٧].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ من أهمّ دواعي قيام هذا الطريق النورسي هو ما تعرض له الواقع العثماني الإسلامي -إبان عصر النورسي طبعا- من ويلات وهجمات شرسة طالت الإنسان في إيمانه وحياته الإسلامية فما كان من الأستاذ النورسي إلا أن يهب للدفاع عن الإسلام وإنقاذ الإيمان وفق ما يفرضه ذلك العصر الجديد من تحديات، ولذلك نجد النورسي يصف المعرفة الصوفية بالفاكهة

[٥٤] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في...**، ١٥.
[٥٥] سورة آل عمران، الآية ١٩١.
[٥٦] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في...**، ٥١.
[٥٧] **المرجع السابق...**، ٥٠.

بل إنّ التصوف هو ضرب من الترف الروحي أمام ما يتعرض له الإيمان من انتهاك ونشر للشبه والأباطيل، ولو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني[٥٨] والشاه النقشبند والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية ولأنّ أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.[٥٩]

ويضيف الأستاذ مؤكّدًا على ضرورة الاهتمام بالإيمان وإنقاذه والبذل في سبيله بوصفه أولى الأولويّات فيقول «نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز بينما يمكنه العيش دون فاكهة فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز».[٦٠]

ويعتبر الأستاذ النورسي أنّ طريقه في العروج إلى تحصيل الكمال والمعرفة القدسية[٦١] «أسلم من غيره لأنّ ليس للنفس فيه شطحات[٦٢] أو ادعاءات فوق طاقتها إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز والفقر والتقصير»[٦٣]، وبذلك تميزت المعرفة القرآنية عن المعرفة الصوفية بوصفها مباشرة غير برزخية ذلك لأنّ المفاهيم عندما تُتلقى من معراج القرآن لحظة المشاهدة القلبية لحقائقه الإيمانية تكون أوضح وأصفى لكنها على غير تلك الصورة من الوضوح إذا ما تُلقت عبر

---

[٥٨] عبد المنعم الحفني، **راجع الموسوعة الصوفية**، (بيروت: دار المسيرة، د.س)، ط٢، ٣٢٩

[٥٩] النورسي بديع الزمان سعيد، **المكتوبات**،...، ٤٧.

[٦٠] **نفس المرجع.**

[٦١] هي صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ثم تنقى عن أخلاقه الرذيلة وآفاته وطال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فإذا تحققت له من ذلك خواطر ودامت مناجاته في السر مع الله وصار محدثا من قبل الحق بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة. انظر إلى عبد المنعم الحفني، **راجع الموسوعة...**، ٢٤٦.

[٦٢] الشطح هو كلام يترجمه اللسان عن فيض يفيض من معدنه مقرون بالدعوى إلا أن يكون صاحبه مستلبا أو محفوظا وقيل عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى تصدر من أهل المعرفة باضطراب واضطراب وهو= =من زلات المحققين فانه دعوى حق يفصح بها العارف لكن دون إذن الهي. **المرجع السابق...**، ١٤٠.

[٦٣] النورسي بديع الزمان سعيد، **الكلمات**،...، ١٦١

البرزخ الصوفي لما يخالطها من الارتجاجات الإنسانية ولما يحجبها من حجب المسافة النفسانية على حسب مقام الشخص المتلقي.[٦٤]

ولا تقتصر المعرفة القرآنية عن كونها ضرورية ومباشرة فحسب وإنّما هي معرفة مضمونة ومأمونة أيضا لأنّ المعرفة متى كانت على نهج القرآن الكريم المعجز تصبح معرفة تامة وتسكب الاطمئنان الكامل في القلب وأمّا بالنسبة للمنهج الصوفي فهو ليس مصون من الشبهات والأوهام ومثله في هذا مثل المناهج الإنسانية الأخرى كعلم الكلام والفلسفة التي يتضمنها ضرب من المغامرة المعرفية.[٦٥]

ولذلك نجد أنّ الأنصاري يؤكّد على خطورة السباحة في محيطات الروح دون صحبة دليل لما في ذلك من إبحار في عوالم الغيب تلك العوالم الغائرة والعميقة خاصة وأنّ الإنسان لا يملك من العلم إلا القليل لذلك فدخوله لهذه البحار يعني الهلكة دون شك وقد قال تعالى: **وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا**،[٦٦] ويقرب الأنصاري المسألة أكثر للأذهان فيقول «إنّ الخرائط التي ترسمها النفس الإنسانية لمدارج الروح بمجرد تذوقاتها الشخصانية غير المبنية على علم بكتاب الله وسنة سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ليست سوى خرائط وهمية قد تشابه الحقيقة ولكنها لا تقاربها لأنّها تسير في طريقها بغير تأمين ولا ضمان».[٦٧]

لقد نظر الإمام النورسي في كل المناهج والطرق التي تسعى إلى الارتقاء بالإنسان وتحقيق المعرفة القدسية الكاملة فلم يختر سوى القرآن ومعراجه أي طريق العجز والفقر والشفقة والتفكر حيث قال «إنّ أصول العروج إلى

---

[٦٤] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في...**، ٣٤-٣٣.
[٦٥] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في...**، ٣٨.
[٦٦] سورة الإسراء، الآية ٨٥.
[٦٧] الأنصاري فريد، **مفاتح النور في...**، ٣٨.

عرش الكمالات وهو معرفة الله جل جلاله أربعة. أولها، منهاج علماء الصوفية المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي. ثانيها، طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان. وثالثها، مسلك الفلاسفة وهذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام»[٦٨]، وأمّا رابع هذه المسالك وهو الطريق المختار كما يضيف النورسي فهو «المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان ونحن قد اخترنا هذا الطريق».[٦٩]

ويقف الباحث على مدى اعتداد الأستاذ النورسي بطريقه القرآني المشرب والذي يفوق طريق العشق الصوفي فيقول «إنّ العجز كالعشق موصل إلى الله بل أقرب وأسلم إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية، والفقر مثله يوصل إلى اسم الله «الرحمن» وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنّه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى إذ هو يوصل إلى اسم الله «الرحيم» والتفكر أيضا كالعشق إلا أنّه أغنى منه وأوسع نورا وأرحب سبيلا إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله «الحكيم».[٧٠]

ولعلّ من أبرز ثمرات هذا الطريق النوري القائم على مبدأ التفكر أنّه يسمو بالسالك ويرتقي به في سلم الإيمان والكمال درجات عالية خاصة وأنّ التفكر يشتمل على ضربين من السير متلازمين ويمهد أحدهما للآخر وهما السير الأنفسي والسير الآفاقي. يقول الأستاذ النورسي موضحا «فالسير الأنفسي يبدأ من النفس ويصرف صاحب هذا السير نظره عن الخارج ويحدق في القلب مخترقا أنانيته[٧١] ثمّ ينفذ منها ويفتح من القلب وفي القلب سبيلا إلى الحقيقة

---

[٦٨] بديع الزمان سعيد النورسي، **صيقل الاسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١٤)، الطبعة ٦، ١١٤-١١٢.

[٦٩] **المرجع السابق**،...، ١١٤.

[٧٠] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٥٩٤.

[٧١] هي عبارة عن الحقيقة التي يضاف إلى كل شيء من العبد كقولك نفسي وروحي ويدي

ومن هنا ينفذ إلى الآفاق الكونية»،[٧٢] أمّا النهج الثاني وهو ما سماه النورسي بالسير الآفاقي «فهو يبدأ من الآفاق ويشاهد صاحب هذا النهج تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة في مظاهر تلك الدائرة الآفاقية الكونية الواسعة فيصل إلى مقصوده ومنتهى أمله».[٧٣]

ويضبف الأستاذ مؤكدا على أنّ السالك المنشغل بمراقبة قلبه يفتح بهذا التفكر آفاقا واسعة أمام نظره وقلبه فيشاهد ويراقب بفؤاده ولطائفه كافة الكائنات بكل عظمتها ابتداء من الذرات إلى السيارات ويرى بكل وجد في تلك العوالم تجليات أسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة بألف تجل وتجل وبها يرى ويحس بعلم اليقين وعين اليقين بل بحق اليقين،[٧٤] ولعلّ هذه هي المرتبة التي أشار إليها صاحب رسائل النور في موضع آخر في حديثه عن قمة المعرفة الإيمانية والكمال الإنساني حيث اعتبر أنّ ذروة الكمال الإنساني إنّما هو في الإيمان والمعرفة القدسية السامية المفصلة والمبرهنة والنابعة من الإيمان التحقيقي.[٧٥]

ولكنّ ما المقصود بالإيمان التحقيقي عند النورسي؟ وكيف يكون الإيمان التحقيقي مقوما أساسيا في بلوغ أعلى درجات الكمال الإنساني؟

## أهمية الإيمان التحقيقي عند النورسي

تعتبر مهمّة إنقاذ الإيمان من أوكد المهمات وأجلها التي بذل الأستاذ النورسي حياته في سبيل تحقيقها خاصة وأنّه عاين عصرا يحارب فيه الإيمان وتهجم فيه ضلالات الكفر والإلحاد هجوما شرسا ولا سبيل للنجاة إلا بامتلاك

---

وتكون حقيقتك غير الحق ونفي الأنانية هو عين معنى لا إله ثم إثبات الحق سبحانه في باطنك ثانيا هو عين معنى إلا الله. انظر إلى عبد المنعم الحفني، **راجع الموسوعة...**، ٦٢.

[٧٢] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٥٧٥.

[٧٣] **المرجع السابق...**، ٥٧٥.

[٧٤] بديع الزمان سعيد النورسي، **سيرة ذاتية...**، ٢٦-٢٣.

[٧٥] بديع الزمان سعيد النورسي، **الملاحق...**، ٢٧٨.

سلاح ذي قوة عالية يتمثل في الإيمان التحقيقي الذي يمنح المسلم القوة والثبات ويمكنه من رد الكفر ودحر الشبهات، ويقول الإمام النورسي في بيان ضرورة وأهمية الإيمان التحقيقي «لقد تزعزعت قلاع الإيمان التقليدية وتصدعت أمام هجمات هذا العصر الرهيب، ونأت عن الناس وتسترت بحجب وأستار، مما يستوجب على كل مؤمن أن يملك إيمانا تحقيقيا قويا جدا، كي يمكنه من المقاومة والثبات وحده تجاه الضلالة المهاجمة هجوما جماعيا».[٧٦]

فالإيمان التحقيقي ليس بذلك الإيمان التقليدي الذي لايصمد أمام تكاثر الفتن والشبهات وإنّما هو أوسع وأقوى وأمتن منه وله مراتب كثيرة جدا يخبرنا الأستاذ النورسي ببعض منها فيقول: منها مرتبة علم اليقين التي تقاوم الشبهات المهاجمة بقوة ما فيها من براهين بينما الإيمان التقليدي لا يثبت أمام شبهة واحدة، ومنها مرتبة عين اليقين التي تضم مراتب كثيرة جدا بل لها مظاهر بعدد الأسماء الإلاهية حتى تجعل الكون يتلو آيات الله كالقرآن الكريم ومرتبة أخرى منها هي مرتبة حق اليقين وهذه تضم مراتب كثيرة جدا فصاحب هذا الإيمان لا تنال منه جيوش الشبهات إذا هاجمته،[٧٧] ولذلك فإنّ الإنسان المتمسك بهذا الضرب من الإيمان التحقيقي لا ينهزم أبدا أمام جيش الشبهات ولا يسلب إيمانه لأنّه قد بلغ مرتبة إيمانية تحقيقية «لا تتوقف في حدود العقل فحسب بل تسري إلى القلب وإلى الروح وإلى السر وإلى لطائف أخرى فيترسخ فيها رسوخا قويا بحيث لا تصل يد الشيطان إليها أبدا» على حد تعبير النورسي.

وأمّا عن السبل الموصلة إلى هذا الإيمان التحقيقي فيخبرنا النورسي بأنّها على ضربين أحدها «بلوغ الحقيقة بالولاية الكاملة بالكشف والشهود وهذا طريق إيماني شهودي يخص أخص الخواص وأمّا الطريق الثاني فهو تصديق الحقائق الإيمانية بعلم اليقين البالغ درجة البداهة والضرورة وبقوة تبلغ درجة

[٧٦] بديع الزمان سعيد النورسي، **الملاحق**...، ٢١١.
[٧٧] **المرجع السابق**...، ٢٦٢.

حق اليقين وذلك بفيض سر من أسرار الوحي الإلاهي من جهة الإيمان بالغيب وبطراز برهاني وقرآني يمتزج فيه العقل والقلب معا».[٧٨]

ويرى الأستاذ النورسي أنّ رسائل النور تحتوي على كنوز كبيرة ومكنونات عظيمة من الإيمان التحقيقي بل إنّ الإيمان التحقيقي الذي يمكن أن يُكسب خلال خمس عشرة سنة تُكسبه رسائل النور في خمسة عشر أسبوعا وإلى بعضهم في خمسة عشر يوما»[٧٩] وذلك لأن «ما فيها من علوم الإيمان التحقيقي لا يشبه العلوم والمعارف الأخرى فهي نور وقوة ممدة لكثير من اللطائف الإنسانية فضلا عن العقل».[٨٠]

فرسائل النور هي بمثابة الغذاء المتكامل الذي يغرف من معينه كل الضعفاء والمرتابين فهي التي «تقوي إيمان المرء إذ تنقله من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي وبذا ينال سعادة الدارين وحسن الخاتمة»،[٨١] ولذلك كان طلبة النور من أكثر الناس إيمانا وسعادة لأنّ قلوبهم وأرواحهم لا تقاس شدة أما المشاق المادية فيقابلونها بالشكر والصبر إذ تعلموا من دروس رسائل النور أنها مشاق آنية زائلة وأنها تافهة لا أهمية لها وأن صاحبها مع ذلك مأجور عليها وبذلك يثبتون بلسان حالهم أنّ الإيمان التحقيقي هو مدار سعادة حتى في الدنيا.[٨٢]

من هنا يكتسب الإيمان التحقيقي أهميّة كبرى في السمو بالإنسان والارتقاء به إلى درجات عالية في سلم الكمال ولعل الأستاذ النورسي فطن إلى هذه الحقيقة مما جعله يخصص كلمة من كلماته الحادية والثلاثون للحديث حول هذه قضية تحت عنوان الإيمان وتكامل الإنسان ليبين من خلالها محاسن

---

[٧٨] **المرجع السابق...**، ١٠٦.
[٧٩] **المرجع السابق...**، ١٤٣.
[٨٠] **المرجع السابق...**، ١٤٤.
[٨١] بديع الزمان سعيد النورسي، **سيرة بديع الزمان...**، ٩٢٠.
[٨٢] بديع الزمان سعيد النورسي، **الشعاعات**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: دار سوزلر، ٢٠١٣)، طبعة ٤، ٥٦٣.

ومزايا الإيمان العظيمة في خمس نكات.

يبدأ الأستاذ النورسي بالنكتة الأولى فيعتبر أنّ الإيمان هو المحدد الأساسي لقيمة الإنسان، حيث يعلو به الإنسان إلى أعلى علّيّين ويتدنى بدونه إلى أسفل سافلين، لأنّ «الإيمان إنّما هو انتساب»[٨٣] كما يقول بديع الزمان، ولكن أي انتساب؟ إنّه انتساب إلى خالق قدير وصانع مبدع أتقن صنعته وأخرجها في أحسن تقويم، وأما إذا انعدم الإيمان وحل الكفر، فسيقطع هذه النسبة حتما ويصبح الإنسان ولا قيمة له، «حيث تنحصر قيمته في مادته فحسب والمادة نفسها كما هو معلوم في حكم اللاشيء لأنها فانية وزائلة».[٨٤]

ويواصل الكاتب شرح فكرته فيورد مثال يقرب به المعنى إلى لأذهان، ويشير من خلاله إلى مدى سمو قيمة الصنعة بفضل الانتساب إلى صانع قادر ومبدع، حتى وان كانت قيمتها مادة أولية بسيطة جدا ليكشف النورسي اللثام عن حقيقة في غاية الأهمية، فكأنه يقول للإنسان المتعب من البحث عن قيمته ومعناه، أيها الإنسان إن قيمتك إنما تتحدد بالإيمان بماهو انتساب لصانع قادر ومبدع، انتساب يظهر آثار الصنعة الربانية الكامنة فيك، فتصبح اسمي مرتبة من الكائنات جميعا، فلا تترك الإيمان وتقطع هذه النسبة والقيمة، لأن الكفر «يهدم الماهية الإنسانية ويحيلها من جوهرة نفيسة إلى فحمة سوداء خسيسة».[٨٥]

وبعد أن فرغ الكاتب من بيان الحقيقة الأولى يواصل كلامه حول أسرار الإيمان في نكتة ثانية، مفادها أن للإيمان طاقة نورانية كبيرة وعظيمة لا تضيء الإنسان فحسب، وإنما تنتشر وتتسع لتضيء جميع الكائنات حوله[٨٦]، حيث يعتبر النورسي أن الإنسان الذي يسير في الدنيا معتمدا على أنانيته، ومصغيا لغروره،

---

[٨٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٣٤٩.
[٨٤] **المرجع السابق...**، ٣٤٩.
[٨٥] **المرجع السابق...**، ٣٥٠.
[٨٦] **المرجع السابق...**، ٣٥١-٣٥٣.

فمثله هنا كمثل الذي يمشي في الظلمات وبيده مصباح خافت، لا يريه إلا أشباحا ووحوشا مخيفة. وأما إذا تخلص هذا الإنسان من المصباح السيئ واستعاض به نور الشمس الإيمانية، وأصغى إلى كتاب الله، فعندئذ «تصطبغ الكائنات بالنهار وتمتلئ بالنور الإلهي وينطق العالم برمته الله نور السماوات والأرض».[٨٧]

ولا تقتصر قوة الإيمان على السمو بقيمة الإنسان وتنويره وتنوير الكائنات من حوله فحسب، وإنما يمنح الإيمان الإنسان قوة من نوع أخر، وهو ما تولى الأستاذ النورسي توضيحه في النكتة الثالثة، حيث اعتبر إن الإنسان «الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائنات، ويتخلص من تضييقات الحوادث مستندا إلى قوة إيمانه قائلا توكلت على الله»[٨٨]. فالتوكل على الله يمنح الإنسان القوة والاطمئنان ما دام «يسلم تلك الحوادث الحياتية الرهيبة وتلك الأعباء الثقيلة أمانة إلى يد القدرة للقدير المطلق»[٨٩].

ويضيف الأستاذ بأنّ التّوكّل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب ولا يرفضها، إذ الأخذ بها «هو نوع من الدعاء الفعلي ويجب اعتباره هكذا»[٩٠]. والإنسان ما دام متوكلا على الله فهو مطمئن سعيد وأما غير المتوكل فمصيره الحيرة والشقاء، ولذلك نجد أن النورسي يخاطب الإنسان بنبرة وعظية قائلا «يا أيها الإنسان البعيد عن التوكل، ارجع إلى صوابك وعد إلى رشدك... وتوكل على الله لتتخلص من الحاجة والتسول من الكائنات، ولتنجو من الارتعاد والتقهقر أمام كل حادثة».[٩١]

إنّ الأستاذ سعيد النورسي في بيانه لمحاسن الإيمان لا يهدف إلى مجرد التعليم فحسب وإنما يهدف أيضا إلى إيقاظ الهمم ودفع القلوب التائهة إلى

---

[٨٧] المرجع السابق...، ٣٥٢.
[٨٨] المرجع السابق...، ٣٥٣.
[٨٩] المرجع السابق...، ٣٥٤.
[٩٠] المرجع السابق...، ٣٥٤.
[٩١] المرجع السابق...، ٣٥٥.

استشعار قوة الإيمان وأهميته في تحديد وتكميل الكينونة الإنسانية لأن الإيمان كما يقول الأستاذ إنما «يجعل من الإنسان إنسانا حقا»[٩٢]، وهو ما تناوله بالتفصيل في نكتة رابعة مقارنا فيها بين مجيء الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا، ذلك أن الحيوان «حينما يأتي إلى الدنيا يأتي وكأنه قد اكتمل في عالم آخر، فيرسل إليها وهو متكامل وكامل تقريبا حسب استعداده».[٩٣] في حين أن وظيفة الإنسان هي التكامل والترقي بالإيمان والمعرفة، لأن «كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد».[٩٤]

فالأستاذ النورسي يرى أنّ الإيمان هو الكفيل بتكميل الإنسان والارتقاء به في سلم العلم والمعرفة، خاصة إذا تمسك المؤمن بحبل الدعاء فهو القائل سبحانه في محكم تنزيله: **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**،[٩٥] فالدعاء من أهم مقتضيات الإيمان كما يشير إلى ذلك النورسي في النكتة الأخير حول محاسن الإيمان حيث يحث فيها المؤمن على أن يكون دائم التوجه لله بالدعاء، وان لا يترك الدعاء بدعوى عدم الاستجابة لأنّه لابدّ من التمييز بين استجابة الدعاء من جهة وقبوله من جهة أخرى، فالشيخ يعتبر «أنّ كل الدعاء مستجاب إلا أن قبوله وتنفيذ نفس المطلوب إنما هو منوط بحكمة الله».[٩٦]

ولذلك ما على الإنسان الذي يروم الترقي في سلم المعرفة الإيمانية إلا التوجه للدعاء بين يدي لله بكل إخلاص، حيث يقول الإمام النورسي للمقبل على الله بالدعاء موصيا «لا تقبل على الله بالدعاء لنفسك وإنّما خضوعا واستجابة لأمره بالدعاء»،[٩٧] فالأستاذ النورسي يدرك خطورة النفس الأمارة بالسوء ومدى

---

[٩٢] **المرجع السابق...**، ٣٥٦.
[٩٣] **المرجع السابق**
[٩٤] **المرجع السابق...**، ٣٥٧.
[٩٥] سورة البقرة الآية ١٧٦.
[٩٦] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٣٥٧.
[٩٧] **المرجع السابق...**، ٣٥٨.

تمكنها من عرقلة السير إلى الله وتحقيق الكمال الإنساني خاصة إذا تظافرت جهودها مع جهود الهوى والوهم والشيطان في التعرض للإنسان فبلوغ مرتبة الإنسان الكامل إنّما «تتمّ بالمجاهدة الأخلاقية وليس عن طريق التهيام الحالم بالمثل وبالمتع الغائبة»[٩٨] على حدّ تعبير سليمان عشراتي.

إنّ تحصيل الإيمان التحقيقي ليس بالأمر السهل المتاح فهو دون شك يحتاج إلى بذل مجهودات كبيرة في مجاهدة النفس الأمارة بالسوء والهوى والوهم والشيطان و«قد اطردت للإنسان أسباب الكمال ما اعتصم بحبل وسار على توجيهاته»[٩٩] في مواجهة تلك القوى التي تعمل جميعها على القعود بالإنسان عن مطلبه في التحرر والكمال كما قال النورسي[١٠٠]، ولذلك يعتبر الدكتور عمار جيدل أن فقدان الدين والإيمان هو فقدان لمطلب الحرية والكمال الإنساني المنشود فمتى تأخر الإنسان على المجاهدة و«فقد الدين (...) سيكون سببا في فقد الحرية فيصبح مكبلا في هواه سجينا في دنياه وإن كان في بحبوحة من النعيم لأن من يجعل الحياة الفانية مبتغاه سيكون في جهنم حقيقة ومعنى من خلال وقوعه أسير النفس والهوى والوهم والشيطان»[١٠١].

إنّ المؤمن الذي خاض بحر المجاهدة وانتصر على نوازعه الشريرة يورثه ذلك إيمانا تحقيقيا يتمكن به من التحرر من التبعية لكل ما ومن سوى الله فلا خضوع لمخلوق في الأرض أو في السماء لأن العبودية لله وحده تعني الانقياد لحكمه سبحانه مع رضا النفس وتسليم القلب دون أدنى حرج أو ارتياب لثقته بتدبير الله ورحمته والموحد هو الذي عرف للعبودية حقها فلم يرض غير الله ربا ولم يتبع غير الله حكما.[١٠٢]

---

[٩٨] عشراتي سليمان، **النورسي وجذور رؤيته الإنسانية**، المؤتمر العالمي، ٢٠٠٠، ٢١٩.
[٩٩] عشراتي سليمان، **النورسي وجذور...**، ٢٢٠.
[١٠٠] بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات...**، ١٩٤.
[١٠١] انظر إلى عمار جيدل، **ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الإجتماعية**، ٢٥٨.
[١٠٢] موسى البسيط، **أنموذج الإنسان المرتكز على التوحيد في ضوء القرآن بمنظور رسائل**

بل إنّ الأستاذ يكشف عن سر التوحيد والإيمان التحقيقي في تميز الإنسان حين يكسبه كمالا لا يجاريه فيه أحد من الكائنات ويسمو به إلى أعلى الدرجات فيقول في مطلع شعاعاته «إنّ الإنسان بسر التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات وهو أثمن ثمرات الكون وألطف المخلوقات وأكملها واسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين وأهل ليكون خليله ومحبوبه حتى إن جميع المزايا الإنسانية وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد وتتحقق بسر التوحيد فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات وأدنى الموجودات وأضعف الحيوانات وأشد ذوي المشاعر حزنا وأكثرهم عذابا وألما».[١٠٣]

وبسر التوحيد والإيمان التحقيقي أيضا يذوق الإنسان لذة العبادة ويستشعر لذة الأنس والقرب من الله تعالى إذ العبادة «هي الموصل للبشر إلى شرفه اللائق وكماله المقدر إذا كانت بالوجدان والعقل والقلب والقالب»[١٠٤] حيث يوجه الإنسان كل لطائفه وأحاسيسه إلى الله الواحد الأحد فيقارب بذلك كمال الصحابة الكرام الذين تتلمذوا على يد النبي والإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم وتأسوا به في طريقهم نحو الكمال.

ولكن كيف يحمل التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بلوغ الكمال الإنساني؟

## التأسي بالإنسان الكامل عليه الصلاة والسلام

لا شكّ أنّ الإنسان يميل بفطرته التي فطره الله عليها نحو تحقيق الكمال[١٠٥] خاصة وأنه ذلك المخلوق المكرم والذي خصه الله تعالى بالكثير من الأجهزة

---

**النور**، المؤتمر العالمي، ٢٠٠٠، ٣٥٠.

[١٠٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **الشعاعات**...، ١٩.

[١٠٤] سليمان عشراتي، **النورسي وجذور**...، ٢٢٨.

[١٠٥] بديع الزمان سعيد النورسي، **صيقل الإسلام**...، ٢٣٥.

والاستعدادات والطاقات اللامتناهية بل إن غاية فضل الله عليه تبرز ببعث أنموذج له وأسوة حسنة ترشده إلى الطريق وتوصله إلى قمة الكمال الإنساني، بل وتعتبر الباحثة خديجة البزاوي أنه في داخل الذات الإنسانية هناك ميل للتقليد واتخاذ القدوة الحسنة «فالحكيم الخبير الذي يعلم ميل النفس البشرية للتقليد قد وضع لها نماذج سامية تكون قدوة حسنة ترتقي بتلك النفس إلى معارج الكمال»[١٠٦]. وذلك دور الرسل والأنبياء وعلى رأسهم النبي محمد -عليهم صلوات الله وسلامه- حيث قال تعالى: **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا**.[١٠٧]

فرسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأستاذ النورسي هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة التي يجب على الإنسان تمثلها وإتباع هديها في شعاب الحياة لأن «إتباع السنة الشريفة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو الذي يقود إلى الانضواء تحت لواء شفاعته والاقتباس من أنواره والنجاة من ظلمات البرزخ»،[١٠٨] وكل من يروم تحقيق الكمال والوصول إلى معرفة الله والتقرب إليه فلا غنى له عن اتباع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ذلك أن «محبة الله تستلزم إتباع السنة المطهرة الطاهرة لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن حب الله هو العمل بمرضياته وأن مرضياته تتجلى بأفضل صورها في ذات محمد صلى الله عليه وسلم».[١٠٩]

ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم خير الخلق كلهم وأشرف الكائنات وأكملهم على الإطلاق «فلئن كان ذو الحياة هم أشرف الموجودات وذو الشعور هم أنبل الأحياء وبنو آدم هم أكرم ذوي الشعور فأكرم بني آدم وأكملهم جميعا

---

[١٠٦] انظر كاملا إلى خديجة البزاوي، **حلول قرآنية لمشكلات إنسانية**، المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٠، ٤٦١.

[١٠٧] سورة الأحزاب الآية ٢١.

[١٠٨] بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات**...، ٣٤٥.

[١٠٩] **المرجع السابق**...، ٩٢.

هو الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم»[١١٠] على حد تعبير النورسي، فرسول الله عليه الصلاة والسلام هو الإنسان الكامل ولا ريب وذلك لما خص به من الصفات والخصال العظيمة بل «إن أعظم معجزة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة أي ما اجتمع فيه عليه الصلاة والسلام من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسنا وفضلا».[١١١]

لقد سمحت كل تلك المحاسن والكمالات المتضمنة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكون الإنسان الكامل وقد وقف الأستاذ النورسي على بيان خصائص هذه الشخصية المعنوية الفريدة والذات المحمدية الكاملة في عدة مواضع من رسائله ولعل من أبرزها أن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل نور العالم وروحه فشخصيته المعنوية لا تكتفي بأن تمنح الكون النور بهداية النبوة فحسب وإنما تمنح شخصيته المعنوية الكون النور والحياة والجمال.[١١٢]

ويظهر ذلك جليا من خلال قول النورسي في المثنوي «اعلم أنّه بينما ترى العالم يلبس صورة الشجرة ترى نوره -عليه الصلاة والسلام- نواتها أولا وثمرتها ثانيا وبينما ترى العالم جسما ترى نوره -عليه الصلاة والسلام- روحه وبينما ترى العالم حديقة مزهرة ترى نوره -عليه الصلاة والسلام- عندليبه، وبينما ترى العالم قصرا عاليا تغمره شعاعات سلطنة الأزل وخوارق حشمته ومحاسن تجليات جماله ونقوش خوارق صنعته إذ ترى نوره –عليه الصلاة والسلام- نظارا كشافا يرى لنفسه أولا ثم ينادي أيها الناس تعالوا إلى هذه المظاهر النزيهة وهلموا على مالكم فيها من رواية الجمال وآيات الحسن والكمال. ثم يتقدمهم مرشدا ويريهم للناس ويشاهد ويشهد لهم، يدهش ويثير دهشتهم، يحب ويحبب مالكه

[١١٠] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات**...، ٦٩١.

[١١١] بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**...، ٢٣٦.

[١١٢] انظر إلى عبد الوهاب بوخلخال، **مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان من خلال رسائل النور**، المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٤، ٣٤٣.

إليهم، يستضيء ويضيء لهم، يستفيض ويفيض عليهم».[١١٣]

وبذلك كان النبي صلي الله عليه وسلم ذلك الإنسان الكامل الذي لأجله خلقت الكائنات فهو «مدار ظهور مقاصد خالق الكائنات في خلق الموجودات وواسطة تظاهر كمالات الكائنات المرمز بشخصيته المعنوية إلى أنه نصب عين فاطر الكون في خلق الكائنات»،[١١٤] بل إنّ النورسي لا يعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل فحسب وإنّما يعتبره أيضا الإنسان الأكمل حيث يقول موضحا «هو الإنسان الأكمل والدليل الأعظم على الله تعالى وقد أظهر جمع ما بيناه من كمالات الإنسان وقيمته ومهمته ومثله فأظهر تلك الكمالات في نفسه وفي دينه بأوضح صورة وأكملها، مما يدلنا على أن الكائنات مثلما خلقت لأجل الإنسان أي إنه المقصود الأعظم من خلقها والمنتخب منها فإن أجل مقصود من خلق الإنسان أيضا وأفضل مصطفى منه بل أروع وأسطع مرآة للأحد الصمد إنما هو محمد عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام بعدد حسنات أمته».[١١٥]

ومن خصائص رسول الله -صلى الله عليه وسلم وشخصيته المعنوية أيضا كما يرى النورسي أنّه حظي بالاسم الأعظم ونال تجليات جميع الأسماء الحسنى التي تتفاوت في نوالها الأنبياء ذلك أنّه إذا كان عيسى عليه السلام مثلا في مقام تجلي اسم «القدير» وموسى عليه السلام في مقام تجلي اسم «المتكلم» فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له المقام الأعلى المتمثل في العلاقة مع جميع دوائر الربوبية ويجد النورسي في الإشارات التي تضمنتها حادثة الإسراء والمعراج أي الالتقاء بالأنبياء والمرور عليهم كل في السماء المخصصة له دليلا على ما يقول على حد تعبير عبد الوهاب بوخلخال.[١١٦]

---

[١١٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري...**، ٥٩-٥٨.

[١١٤] بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات...**، ٤٩٨.

[١١٥] **المرجع السابق...**، ٥٨٨-٥٨٧.

[١١٦] عبد الوهاب بوخلخال، **مباحث النبوة وعلاقتها...**، ٣٥٥.

وتجدر الإشارة إلى القول بأنّ الأستاذ النورسي لم يكتفي في حديثه حول الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم بهذا النسق التجريدي ذو المفردات الصوفية فحسب وإنما تناول قضية الكمال الإنساني أيضا من منحاها العملي التطبيقي ليبرهن على أن تحقيق الكمال الإنساني أمر ممكن إذا ما اتبع الإنسان السنة النبوية الشريفة وتأسى برسول الله عليه الصلاة والسلام، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان الإنسان الكامل بحق والأسوة الحسنة في اعتداله وتوسطه الأخلاقي ويزيد الأستاذ النورسي هذا المعنى إيضاحا فيقول «لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خلق في أفضل وضع وأعدله وفي أكمل صورة وأتمها فحركاته وسكناته قد سارت على وفق الاعتدال والاستقامة وسيرته الشريفة تبين هذا بيانا قاطعا وبوضوح تام بأنه قد مضى وفق الاعتدال والاستقامة في كل حركة من حركاته متجنبا الإفراط أو التفريط.

نعم لما كان الرسول قد امتثل امتثالا كاملا لقوله تعالى: **فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ**[١١٧] فالاستقامة تظهر في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ظهورا لا لبس فيه، فمثلا أن قواه العقلية قد سارت دائما ضمن الحكمة التي هي محور الاستقامة والحد الوسط مبرأة عما يفسدها ويكبتها من إفراط أو تفريط، وأن قواه الغضبية قد سارت دائما ضمن الشجاعة السامية التي هي محور الاستقامة والحد الوسط منزهة عما يفسدها من إفراط أو تفريط أي الجبن والتهور، وأن قوته الشهوية قد اتخذت محور الاستقامة دائما في العفة واستقامت عليها بأسمى درجات العظمة فصفت من فساد تلك القوة من إفراط وتفريط أي الخمود والفجور».[١١٨]

إنّ التأسي بالإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم من شأنه أن يعرج بالذات الإنسانية إلى الكمال وأن يكسب الإنسان نورا وكمالا يبدد به الظلم ويسود به الأمم وقد اغتنم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم نور النبي عليه

[١١٧] سورة هود ألآية ١١٢.

[١١٨] بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات...**، ٩٦-٩٥.

الصلاة والسلام فتحرروا من أخلاقهم البدوية والمتوحشة وتحلوا بأخلاق القيادة والسيادة وذلك ببركة النور المشع والإنسان الكامل القائم بين ظهرانيهم.

ويقول الأستاذ النورسي مبينا مدى تأثير النبي وكمال شخصيته صلى الله عليه وسلم في من كان حوله من الصحابة الكرام «فإن شئت أن تعرف أن ما يحركه إنما هو قوة قدسية فانظر إلى إجراءاته في هذه الجزيرة الواسعة ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الواسعة المتعصبين لعاداتهم المعاندين في عصبيتهم وخصامهم كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة البدائية وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة؟ وجهزهم بأخلاق حسنة عالية فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتيذ الأمم المتمدنة».[١١٩]

وبهذا الاعتبار لا يمكن أن نعد تصور النورسي للإنسان الكامل تصورا طوباويا متوهما، وإنما هو تصور متحقق في المجتمع الإنساني ولعل خير دليل على ذلك هم الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم وذلك لأنهم نماذج بشرية متحققة في واقعنا المعاش وهم كمل الأولياء من حيث إنهم فرغوا كل طاقاتهم لله الواحد الأحد وكانوا بذلك أعلم الخلق بعد الأنبياء بالله -جل جلاله وكانوا نماذج الإنسان الكامل.[١٢٠]

فهذا التصور النورسي للإنسان الكامل هو تصور ممكن ومستمر في الزمن ويلحق القرون المتتالية رغم المكانة العالية التي حظي بها جيل الصحابة كما يرى النورسي حيث يقول «حقيقة أن الصحابة الكرام هم كمل الأولياء لقربهم وتتلمذهم على الإنسان الكامل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واستمدادهم من نور القرآن الكريم لكن هذا النور ساطع ومتيسر للإنسان في كل زمان»،[١٢١]

---

[١١٩] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٢٦٨.

[١٢٠] سعيد الغزاوي، **مركزية الإنسان الكامل في المشروع الأخلاقي عند النورسي**، (استنبول: مجلة حراء، عدد٢٦، ٢٠١١)، ٣٨.

[١٢١] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٥٠١.

ولذلك اعتبر فريد الأنصاري أن تحقق الإنسان الكامل يتمثل اليوم في الأولياء الصالحين والعلماء الأصفياء فهم ثمار استمدت من شجرة القرآن الكريم فتكاملهم الحيوي يدل أن شجرتهم المباركة هي ذات حياة وعطاء وذات فيض دائم وذات حقيقة وأصالة.[١٢٢]

فالصدق هو رابط الكمالات عند الأستاذ النورسي وأساس الأخلاق التي يجب على الإنسان أن يتمثلها في طريقه نحو الفضيلة والترقي والكمال لأن الصدق «هو الذي يسرع بنوع البشر في طريق الترقي كالبرق إلى كعبة الكمالات وهو الذي يصير أخمد الناس وأفقره أعز من السلاطين(...) وبه ارتفع سيدنا محمد الهاشمي عليه الصلاة والسلام إلى أعلى عليين مراتب البشر».[١٢٣]

ولهذا فإن أساس بناء الحضارات وتقدم المجتمعات هو الصدق المستمد من نور الإيمان والذي يمثل محور الأخلاق الفاضلة والخصال السامية وبذلك كانت «المدنية التي بنيت على أساس التشريع الإسلامي والأخلاق المحمدية الرفيعة مبنية على الحق والفضيلة والرابطة الدينية والتعاون والهدى وهذا ما يؤدي إلى العدالة والتوازن والمودة والأخوة والمسالمة والاتحاد وترقي الإنسان»[١٢٤] أما تلك المدنية التي بنيت على الأخلاق الذميمة مثل الكذب والنفاق والظلم والرياء فلا ترتقي بالإنسان فضلا عن المجتمع وإن بلغت في التحضر ما بلغت.[١٢٥]

## خاتمة

في ختام هذا البحث وبعد هذه الجولة العلمية الممتعة في رحاب الكمال الإنساني عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي يمكننا القول أن الأستاذ

---

[١٢٢] فريد الأنصاري، **مفاتح النور في...**، ٣٣١.

[١٢٣] بديع الزمان سعيد النورسي، **الكلمات...**، ٣٨٢.

[١٢٤] بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات...**، ٤٢٧.

[١٢٥] عبد العظيم أحمد عبد العظيم، **دور الأخلاق في تغيير الواقع المعاصر من خلال فكر الإمام النورسي**، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي، ٢٠٠٤، ٣٦٤.

النورسي لم يكن صوفيا بقدر ما كان متدبرا للقرآن بامتياز ويكفيه من الدلائل على ذلك معراجه الموسوم بطريق العجز والفقر والشفقة والتفكر الذي توصل إليه من محض تفكره وتدبره في القرآن الكريم. فهذا الطريق النورسي لا يعارض المنهج الصوفي في التربية والتزكية بقدر ما يضفي عليه صبغة تجديدية تتواءم مع تحديات عصره الذي كان يهدف إلى إلغاء الإيمان ونشر الكفر والإلحاد فكان تجاوز الأستاذ للتصوف تجاوز احتضان واستيعاب ولم يكن تجاوز نقض وإقصاء.

لذلك لا تثريب علينا إن وصفنا هذا الأستاذ الجليل بالمخضرم الذي لم يكن صوفيا تقليديا وإنما كان موصلا وصلا ذوقيا بالقرآن ولعل من أبرز ما يبرهن على هذا المشرب الخاص للأستاذ بديع الزمان النورسي هو أسلوبه في معالجة مسألة الإنسان الكامل تلك المعالجة التي جمع فيها بين الحقيقة والشريعة فخاطب الخاصة والعامة بنفس درجة الاقتدار والتمكن.

كما يمكن الخلوص إلى أن الإنسان الكامل عند بديع الزمان هو ذلك الإنسان الذي دأب على مجاهدة نفسه ومحاربة كل نوازعه الشريرة إلى أن ينال حقيقة الإيمان ويلتجئ إلى ربه عارضا لكل وجوه العجز والفقر والضعف والنقص الكامنة في ذاته فيقربه الله تعالى ويمده بالقوة من عنده وبذلك تتحول أسباب سقوطه من العجز والفقر والضعف والنقص إلى أسباب صعوده وكماله.

ومن خصائص تحقيق الكمال الإنساني عند الأستاذ النورسي أن هذا الكمال يرتبط ارتباطا وثيقا بتعليمات سيد الكمل -عليه الصلاة والسلام- ذلك أن المطلب الإنساني في الكمال لا بد أن يكون بالتأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتمثل هديه في شعاب الحياة فالإنسان الكامل ليس شخصا خياليا لا يمكن تحقيقه في واقع الحياة بل هو ممكن كما كان مع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهو مستمر في الزمان باستمرار القرآن الكريم.

ولا يفوتني القول في الختام أن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من خلال تناوله لمسألة الكمال الإنساني لا يدعونا إلى إعادة التفكير في معنى الإنسان والإنسانية فحسب وإنما يعطينا الحل الأمثل لاستعادة الإنسان لإنسانيته ولمعناه الذي يرتبط ارتباطا شديدا بالإيمان ذلك الإيمان الذي يرتقي بالإنسان ويخرج به عن دائرة الحيوان ولذلك يوجه الأستاذ الأنظار إلى أهمية الأخلاق ودورها في حل الكثير من الإشكاليات والأزمات التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية اليوم.[]

## مصادر البحث


القرآن الكريم

الأنصاري، فريد. ٢٠١٠. **مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور**. القاهرة: دار النيل. الطبعة الأولى.

البزاوي، خديجة. ٢٠٠٠. **حلول قرآنية لمشكلات إنسانية**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي.

البسيط، موسى. ٢٠٠٠. **أنموذج الإنسان المرتكز على التوحيد في ضوء القرآن بمنظور رسائل النور**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي.

بوخلخال، عبد الوهاب. ٢٠٠٤. **مباحث النبوة وعلاقتها بالإنسان من خلال رسائل النور**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي.

جيدل، عمار. ٢٠٠٠. **ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي.

الحفني، عبد المنعم. د.س. **الموسوعة الصوفية**. بيروت- لبنان: دار المسيرة. الطبعة الثانية.

حمادة، فاروق. ٢٠١٦. **الإنسان في رسائل النور وجودا ومهمة وغاية**. استنبول-تركيا: مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم.

سليمان، عشراتي. ٢٠٠٠. **النورسي وجذور رؤيته الإنسانية**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي.

الصالحي، إحسان قاسم. د.س. **العالم يتصفح كليات رسائل النور**. القاهرة: دار سوزلر للنشر والتوزيع.

العظيم، عبد، أحمد عبد العظيم. ٢٠٠٤. **دور الأخلاق في تغيير الواقع المعاصر من خلال فكر الإمام النورسي**. استنبول-تركيا: المؤتمر العالمي حول بديع الزمان سعيد النورسي.

عكيوي، عبد الكريم. ٢٠١١. **المقاصد العملية للتربية السلوكية عند بديع الزمان النورسي**. إستنبول-تركيا: مجلة النور للدراسات الفكرية والحضارية، مؤسسة إستنبول للثقافة والعلوم.

الغزاوي، سعيد. ٢٠١١. **مركزية الإنسان الكامل في المشروع الأخلاقي عند النورسي**. استنبول: مجلة حراء، عدد ٢٦.

الكيلاني، جمال الدين وزياد الصميدعي. ٢٠١٤. **بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير**. القاهرة: دار الزنبقة. الطبعة الأولى.

النورسي، بديع الزمان سعيد. ٢٠١٣. **الشعاعات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **الكلمات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **اللمعات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **المثنوي العربي النوري**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **المكتوبات**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **الملاحق**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٣. **سيرة ذاتية**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٤. **سيرة بديع الزمان**. ترجمة حسين عثمان. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. ٢٠١٤. **صيقل الاسلام**. ترجمة إحسان قاسم الصالحي. القاهرة: دار سوزلر للنشر. الطبعة السادسة.

_____. د.س. **الإنسان والإيمان**. مراجعة وتقديم بنبذة عن حياة بديع الزمان وجهاده ورسائله علي محي الدين علي القره داغي. د.م: دار الاعتصام.

واحدة، شكران. د.س. **الإسلام في تركيا الحديثة**. ترجمة محمد فاضل. د.م: د.ط.